العـــادات الاجتـماعية

"رؤية تحليلية"

إعداد

الباحثة / هالة بكر محمد علي

باحثة بقسم علم الاجتماع

كلية الآداب- جامعة أسيوط

مقدمة :

يعيش الإنسان في المجتمع ويرتبط ببيئته ارتباطاً وثيقاً ويؤثر فيها وتؤثر فيه وهناك تفاعل اجتماعي متبادل ومستمر ونتيجة لهذا التفاعل تحدث عمليات مختلفة بعضها يرتبط بالبيئة الخارجية المحيطة بالفرد ونطلق عليها عمليات اجتماعية وبعضها يتعلق بشخصية ما يدور في نفسه وذاته ويطلق عليها عمليات نفسية والإنسان وحدة اجتماعية نفسية بدنية مترابطة وتتشكل شخصيته ويتحدد سلوكه من عوامل بيولوجية وراثية وخصائص نفسية وجسدية مع عوامل بيئية ثقافية مثل العرف والقيم الاجتماعية والخلقية والتقاليد والعادات السائدة..... الخ.

ولا يوجد ميدان من ميادين التراث الشعبي بعد الأدب الشعبي حظي بمثل ما حظي به ميدان العادات الشعبية من العناية والاهتمام وقد تمثلت هذه العناية وهذا الاهتمام في الدراسات الفلكلورية والسوسيولوجية العديدة من جهة وفى عمليات الجمع والتسجيل من جهة أخرى ولذلك التراث الدائر حول العادات الشعبية إلى الحد الذي أصبح معه من المستحيل على باحث واحد أن يلم به إلماماً كاملاً.(١)

أولاً: العادة ظاهرة اجتماعية:

العادات هي جمع العادة وهي من فعل عاد أي تعود وعادة هي كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد والحالة تكرر على نهج واحد والعادي هو العتيق الأمر جرت به العادة(٢).

ويعرفها عبد *الهادي الجوهري* بأنها مجموعة أفعال اجتماعية متكررة التي يمارسها الأعضاء الموجودون في المجتمع أو داخل جماعة بشرية وهى أيضاً مجموعة التصرفات والمعتقدات النموذجية المتكررة التي يمكن ملاحظتها نظراً لوجود عدد من الحقائق المتميزة لها أو تمثل مجموعة الخصائص أو العادات الشعبية كما أنها تميل إلى

البقاء والاستمرارية[٣].

عرّفت أيضا موسوعة علم الإنسان بأنها ذلك" التراث الثقافي أو أشكال السلوك المعتاد داخل جماعة اجتماعية معينة وهو يتضمن بعداً توجيهياً وممارسة سلوك مخالف لها يمكن أن يسبب العقاب الذي قد يتراوح بين عدم الموافقة الاجتماعية والنفي أو النبذ أو أي نوع آخر من العقاب[٤].

ويعرف الأنثربولوجيون العادات بأنها تشير إلى الأساليب المعترف بها في التفكير والعمل و هذا اللفظ العام يستعمله الأنثربولوجيون على مستويات مختلفة من التجريد واستعماله يشد الانتباه إلى الأفعال الروتينية للحياة اليومية والقواعد الكامنة في الروتين والأنماط الثقافية القابلة لأن تدرك فى الأفعال المتكررة والطبيعية المميزة لكل ثقافة[٥].

وقد أوضح **ريل** أن السلوك يتحول إلى عادة شعبية عندما يثبت من خلال عدة أجيال ويتوسع وينمو ومن ثم يكتسب سلطاناً. قد تكون العادة الشعبية في بعض الأحيان ملزمة بمعنى أن تكون قوة معيارية وظاهرة تتطلب الامتثال الاجتماعي بل الطاعة الصارمة ومن هنا يأتي وصف " فيكمان " للعادة الشعبية بأنها ذات طبيعة خاصة تستمد سلطتها رأسيا أي تاريخياً وأفقياً أي اجتماعياً[٦].

وأن الإنسان (الفرد) يتفاعل مع التراث الاجتماعي **Social Meritage** أي أنه يعيش في عالم ملىء بالمنظمات والمؤسسات الشعبية المختلفة والأساس العام الذي يقوم عليه تفاعله مع الآخرين هو الثقافة وتبعا لذلك تغير الثقافة محدداً هاماً في تكوين السلوك وتتمثل علاقة المجتمع والثقافة في قول هيرسكوفتش ويتكون المجتمع من الناس والطريقة التي يتصرف بها هؤلاء الناس ويسلكون ثقافتهم وتتمثل في عاداتهم[٧].

ثانياً: طبيعة العادة الاجتماعية وأهميتها:

إن العادة الاجتماعية تتضمن في طبيعتها جانبين: جانباً معنوياً، ويمثل الأفكار والمعتقدات، وجانباً مادياً يكون شكلها وسلوكها، وتفصح المعتقدات الشعبية عن نفسها في شكل عادات وممارسات شعبية، ومن هنا فإن الفصل بين المعتقد الشعبي والعادة الشعبية فصل نظري لأغراض الدراسة العلمية ولا وجود له في الواقع الحي، فالمعتقد الشعبي والعادة الشعبية وجهان لعملة واحدة، وهو ما أكد عليه "ريتشارد دورسون" حيث قال إن العادة ليست في النهاية سوى تعبير عن معتقد معين(٨).

فالعادات من بين العناصر الثقافية تبدو العادات الأكثر عمومية فهي بطبيعتها استجابة لحاجات ثابتة نسبياً ومتغيرة تبعا لذلك لأنها تستجيب في الزمان والمكان لحاجة اجتماعية يمكن أن تكون مستقلة عن الزمان والمكان وإن وجدت في البداية فمنها يتخطى مفهوم الاجتماعية مسالة التكرار لعملية معينة أو النشاط اللاشعوري واللاواعي لعملية ما والناتج عن تكرار فعل حتى ولو كان فعلاً اجتماعياً(٩).

ثالثا: مجالات العادات الاجتماعية:

ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع طريقة متميزة للحياة سواء من مأكل ومشرب أو مسكن. أو من حيث النظم الاجتماعية، والقيم الروحية، وكل مجتمع له طابع خاص في طريقة حياته،وفيما يلي نوضح بصورة مبسطة الطابع الخاص الذي يميز المجتمعات بعضها عن بعض. إذا قابل الإنسان العربي أحد أصدقائه بعد فترة طويلة من الغياب فانه يحتضنه، وفى بعض الأحيان يقبله، أما سان جزر الإندمان في المحيط الهادي فهو يبكى بصورة طقوسية عندما يحيى صديقه الذي يقابله بعد غيابه، ويقوم الرجل الفرنسي بتقبيل صديقه الذي طالت غيبته على كل من خديه، بينما يقتصر الأمريكي على مصافحة صديقه الغائب وهز يده بشدة عدة مرات.وكل هذا يعرف بالعادات التي هي جزء من ثقافة المجتمع لأن الثقافة في الأنثروبولوجيا هي الدلالة على كل ما صنعه أي شعب من الشعوب أوجده لنفسه من مصنوعات يدوية ومحرمات ونظم اجتماعية سائدة وأدوات ومعاول وأسلوب للتغير باختصار كل ما صنعه الإنسان أينما وجد هو مجمل التراث الاجتماعي للبشرية. وتنشأ العادات الاجتماعية في عقول الناس، وتتجسد في أفعال أعضاء الجماعة، وتنتشر عن طريق التقليد تدريجياً أو عن طريق المحاولة والخطأ. وبمرور الوقت تكتسب العادات الجمعية قوة التقاليد، لأنها تمثل طرقاً مألوفة للإنسان في عمل الأشياء، وظاهرة جوهرية لمعيشة الناس بعضهم مع بعض، إلا أنها تربط فيما بينهم في الوقت الحاضر وتلقنهم تجربة الماضي؛ لأنها تنحدر إليهم من جيل إلى آخر بوصفها الطريقة الصحيحة التي يجب إتباعها.

رابعاً: وظائف العادات الاجتماعية:

إذا نظرنا إلى وظائف العادات الشعبية في جملتها وجدناها صورة كاملة للحياة

تعطيها بهاءها ورونقها وتضفى عليها شرعيتها ومعناها فالوجود الإنساني يفصح عن نفسه في العادات الشعبية والعادات الشعبية هي التي تضع في يد الإنسان السلاح الذي يواجه به أسرار ومشكلات الحياة وهى الأداة التي يدعم بها علاقته مع مجتمعه وأن تتلخص وظائف العادات الاجتماعية فيما يلي:

١-أن العادات الاجتماعية تعمل على استقرار المجتمع بما تفرضه من جزاء اجتماعي يقع على الفرد المخالف لها؛ ولذلك فهي من العوامل الجوهرية في الضبط الاجتماعي.

٢- تؤدي العادات الاجتماعية إلى تعزيز وحدة المجتمع وتوثيق العلاقات وتمكنهم من قضاء حاجاتهم فى يسر وسهولة تامة.

٣- أن العادات هي الأصول الأولى التي استمدت منها النظم والقوانين مادتها، كما أنها القوى الموجهة لأعمال الأفراد وحياتهم.

٤-كما أنها من أقوى وأكبر عوامل الترابط الاجتماعي وكثير ما يعبر عنها بالعقل الجمعي أو الروح الكلية للناس.

٥-العادات هي التي تضع في يد الإنسان السلاح الذي يواجه به أسرار الوجود ومشكلات الحياة، وهي الأداة التي يدعم بها علاقاته مع مجتمعه.

٦- العادات الاجتماعية ظاهرة تاريخية ومعاصرة في نفس الوقت، ذات صلة مباشرة بواقعنا، فهي قطعة من ذواتنا ومن واقع حياتنا ومرتبطة بظروف المجتمع الذي تمارس فيه زمانياً ومكانياً[١٠].

خامساً: أنواع العادات الاجتماعية:

إن العادات هي مظاهر سلوكية يتفق عليها بين أفراد المجتمع وتنقسم إلى.

أ- عادات فردية سلوكية:

وهي ما يُطلق عليها كلمة **Customs**، وهي أنماط سلوكية متكررة يتصرف الفرد بمقتضاها على نحو خاص، حتى تصبح ممارسته لها لا شعورية، ولا يمثل الخروج عليها ضرراً للمجتمع. وهي في الأغلب الأعم متعلقة بإشباع حاجات الفرد البيولوجية من مأكل ومشرب وملبس، مثل تناول بعض المشروبات في أوقات معينة وبطريقة خاصة، كتناول القهوة مع اللبن صباحاً، أو القهوة مع التدخين، أو طريقة استخدام أدوات الأكل، أو طريقة طهي الطعام.

العادات الفردية هي ظاهرة شخصية يمكن أن تكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع ويكاد يكون الإنسان مجموع عادات تمشى على الأرض بل إن قيمته في بعض الأحيان تتوقف على عاداته فطريقة لبسه ونظافته وكلامه ومشيته وأكله وشربه وعنايته بحاجات بدنه كل هذه تعتبر عادات فردية خاصة به[١١].

ب- عادات جمعية أو جماعية شائعة: **Common habits**

هي القواعد السلوكية المتكررة، التي ترجع إلى المجتمع الذي يعيش فيه الفرد. وتستند هذه القواعد السلوكية إلى فكر اجتماعي، وبكثرة تكرارها تصبح أنماطاً سلوكية. وهي تنتشر أفقياً عن طريق التجاور والاختلاط، ورأسياً عبر فترة تاريخية طويلة، وتصبح ممارستها ثابتة مستقرة، ومن الصعب التخلص منها؛ ومثال ذلك عادات التحية وآداب المائدة، وإلزامها وآداب المجاملة المختلفة، وطرق تناول الطعام، وطرق الخطبة والزواج، وطرق تمثيل الأسرة في المجالس والتنظيمات الاجتماعية.

أما **العادات الجمعية** فظاهرة اجتماعية تمثل أسلوباً اجتماعياً، بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتُمارس إلاّ في الحياة الاجتماعية في المجتمع، وأثناء التفاعل بين أفراده

وجماعاته. ومن أهم الخصائص المميزة للعادات الجمعية، ما يتصل بها من جزاء اجتماعي توقعه الجماعة على مخالفيها. أما **العادات الفردية** فلا تحتاج إلى هذا الجزاء الاجتماعي والعادات الجماعية قابلة للتطور والخروج على قواعدها الجامدة والقديمة فقد انتقلت الأشكال الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد والتطور، وأدت جماعات الهجرة الداخلية إلى تقديم أساليب جديدة واستخدم فيها الإنسان التكنولوجيا الحديثة مما أدى إلى موت بعض العادات الجماعية القديمة ونشوء العادات الفردية بديلة عنها وبالعكس.

والفرق بين العادات الجمعية والعادات الفردية، هي أن الأخيرة أسلوب فردي وظاهرة شخصية. والدليل على ذلك أنه يمكن أن تتكون العادة الفردية وتُمارس في حالات العزلة عن المجتمع لسبب أو لآخر، كما في حالات الأطفال الذئاب وغيرهم. ويكاد الإنسان أن يكون مجموعة من العادات تمشي على الأرض، وأن قيمته تعتمد كثيراً على عاداته. فطريقة الشخص في ملبسه ونظافته وكلامه ومشيه وأكله وشربه وما شابه ذلك، كلها عادات فردية تسهم في تقييم الفرد وتحدد درجة نجاحه في الحياة.

سادساً: العلاقة بين العادات والمفاهيم الأخرى:

وهنا لابد من الإشارة إليه في هذا المدخل إلى قضية التعاريف الاصطلاحية للعادات والأعراف والحكم والأمثال والأفكار والمعتقدات والأدب والفن والتي سنعتمد عليها في موضوعنا وعلاقة كل منها بغيرها وحتى لا نتورط في موضوع مترامي الأطراف فإنه إلى جانب تمثل أبرز الاتجاهات في هذا الشأن يمكن أن نختزل كل ذلك بصورة مبسطة وبدون العودة إلى التفاصيل الكثيرة وبالقدر الذي يحدد بدقة مدلول هذه المصطلحات بالنسبة

لهذا البحث ويخدم موضوعه وغرضه على الأقل بحيث لا يترك مجالاً للالتباس أو الخلط أو الغموض وذلك على النحو الآتي:

(١) العادات والتقاليد: Tradition

يرى *عدنان أحمد مسلم* أنه يطلق مصطلح التراث على العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل إلى جيل آخر وهنا يستخدم المصطلح بمعنى التقليد **Tradition** وأنماط السلوك المقننة التي تنتجها الجماعة وتعمل على تدعيم تماسكها ووعيها بذاتها كما تحظى بالقبول من جانب الأعضاء(١٢).

ويعرفها *حسين عبد الحميد رشوان* بأنها عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشا عن الرضا والاتفاق الجمعي وهى تستمد قوتها من المجتمع وتحتفظ بالحكم المتراكمة وذكريات الماضي التي مر بها المجتمع ويتناقلها الخلف عن السلف جيل بعد جيل ، والتقاليد هي أسلوب المجتمع في احتواء العادات النافعة والآثار والبقايا غير نافعة فقدر كبير من تفكير أفراد المجتمع يشير إلى محاولة تفادى أخطاء الأسلاف وتنوع مابين التراث الشعبي الحقيقي والقديم(١٣).

(٢) العادات والتراث الشعبي:

التراث الشعبي هو مجموعة العناصر الثقافية المادية والروحية لشعب من الشعوب،تكونت على مدى الزمن، وعبر أجيال متلاحقة،كل جيل ينقلها إلى الجيل اللاحق عبر عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية.ويعرفها علماء التراث الشعبي بأنها عبارة عن "المعتقدات والعادات الاجتماعية الشائعة، وكذلك الأدب الشعبي ويدل التراث الشعبي بصفة عام على موضوعات الدراسة في الفلكلور أو دراسة التراث الشعبي أو دراسة الأدب الشعبي(١٤).

ويؤكد هولتكرانس **AkeHultkrantz** على ضرورة رؤيتنا للوحدة في كل هذه الموضوعات في كونها تجسد جميع جوانب الثقافة الروحية التي يغلب عليها الطابع الشفاهى الذي ينتقل من جيل إلى جيل آخر. والتراث ظاهرة اجتماعية ينطبق عليه ما ينطبق عليها،وهو يحرك كل أفعالنا، ويقدم لنا خلاصة تجارب وخبرات الأجيال السابقة في التعامل مع مواقف الحياة اليومية ويزودنا بالحلول الجاهزة لمواجهة ما يعترضنا من مشكلات وأزمات علاوة على أنه يعفينا من التفكير في بعض المواقف اليومية بما يقدمه من خلاصة آراء واتجاهات خبرها السلف وتملكها الخلف وبالتالي فالتراث يوفر الجهد الذهني أحيانا ويُعفى الإنسان من عناء التصرف الموقفى في كثير من الأحيان[١٥].

(٣) العادات والأعراف: Mores

إن الأعراف هي أنماط السلوك المقبولة والتقليدية إلى جانب أنها محددة ومعينة بكل دقة إذا خالف الفرد قواعد العرف فإنه يعاقب أشد العقاب وخاصة ما يتصل بالأساليب الشعبية كما تتميز قواعد العرف بأنها تتغير ببط أو بتدرج ومن ثم فهي تحتل أهمية بالغة في دعم وتوفير النظام الاجتماعي.

الأعراف تعبر عن القواعد التي تتفق عليها جميعا وانتهاكها ينتج عنه عوائق وخيمة (مثل: السخرية، فقدان فرص العمل أو السجن) وتعد ضرورية لاستمرار المجتمع المحافظة على القيم ونظام المحرمات أكبر دليل على إلزامية الأعراف داخل المجتمعات الإنسانية(١٦).

العادة الشعبية هي نمط السلوك الذي يرتضيه الفرد أو الجماعة لأنفسهم ويميل إلى الثبات بمرور الوقت بل والانتقال الوراثي وهي ذات قوة معيارية وتتنوع بتنوع ظروف المجتمع والعمر والنوع والمهنة.... الخ وغالبا ما تميل إلى تنظيم سلوك الشخص أو الجماعة تجاه نفسها وليس إلى تنظيم التعامل مع الغير الذي تنظمه الأعراف والتقاليد باعتبارها الإطار المرجعي لأسس التنظيم الاجتماعي والتعامل الشعبي والتي تتمتع بقوة الإلزام الذي يوازى قوة القانون والدستور في المجتمع المدني المعقد إن لم يكن أكثر منه قوة واحتراما وهيبة مستمداً كل ذلك من دوافع رغبة الالتزام الذاتي من ناحية وقوة الإلزام الاجتماعي من ناحية أخرى. (١٧)

(٤) العادات والأفكار والمعتقدات:

إن الأفكار والمعتقدات بالإمكان تعريفها تعريفاً من خلال مضمون وظيفة كل

منهما فالأفكار والمعتقدات هي مجموعة المعلومات والمعارف المتراكمة في أذهان الناس عن حياتهم والبيئة المحيطة بهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض والتي تشكل الإطار المرجعي لكل مظاهر سلوكهم من عادات وأعراف ومعتقدات وأنماط السلوك المختلفة بصورة مباشرة أو غير مباشرة والفرق بين الأفكار والمعتقدات على المستوى الشعبي فرق نسبى حيث تمثل الأفكار الشعبية المعلومات والمفاهيم الأقل تصلباً والأكثر قرباً من وقائع الحياة اليومية ومتطلباتها الضرورية والمحاطة بالاحترام والإلزام الاجتماعي القابل للمنافسة والمحاكمة العقلية والتعديل في حدود معينة بينما تمثل المعتقدات جانب المعلومات والمفاهيم الأكثر تصلباً والأكثر بعداً عن وقائع الحياة اليومية ومتطلباتها الضرورية إلا بصورة غير مباشرة وعن طريق الوسائط الغيبية وهى محاطة بالتقديس ولا مكان للمنافسة والمحاكة العقلية على الإطلاق وهى أقرب إلى الخطأ وأكثر التصاقاً به باستمرار الأفكار الشعبية فهي أقرب إلى المنطق وتحتل الصحة والموضوعية في كثير من جوانبها وليست كلها صحيحة وكل من الأفكار والمعتقدات الشعبية تعبير عن الواقع بشكل ما. (١٨)

(٥) العادات والحكم والأمثال:

أما الحكم والأمثال وهى التعبير اللفظي المقتضب والمتداول بغير تبديل أو تغيير في لفظه الحرفي والتي تمثل بما تنطوي عليه نصوصها وألفاظها من استخلاصات للتجربة واستقراء للواقع تراكم للخبرة والمعاناة التاريخية ما يشبه القواعد والخطوط النظرية للسلوك العملي وإن الإنسان لا يتمتع بصفة وقوة الجبر والإلزام المباشر على الأفراد التي تتمتع بها العادة أو العرف الاجتماعي إلا أن لها من قوة العادة والعرف والمعتقد الشعبي عن قناعة ورضا لأنها كما قلت أشبه بالدليل النظري المستمد من الخبرة والتجربة الاجتماعية الطويلة والتي تقتصر وظيفتها على تنمية الدوافع الذاتية لشخصية الفرد وإعدادها معنويا لتقبل

واحترام كل ما تعارف عليه أفراد المجتمع من قيم ومعايير إضافة إلى تبيان الفوائد المترتبة على ذلك والمخاطر الناجمة عن التصرف المضاد. (١٩)

(٦) الفنون(الفولكلور) والعادات الاجتماعية:

إن تعريف علم الفولكلور يصدر في حقيقة الأمر عن حاجة موضوعية دائمة، وحاجة محلية خاصة، أما الأولى فهي تدارس حدود هذا العلم وآفاقه من فترة لأخرى سعياً وراء مزيد من الدقة في تعيين هذه الحدود سواء كان توسيعاً أو تضييقاً، أما الحاجة المحلية الخاصة فهي ما يثور من خلط حول مفهوم العلم وطبيعته بين المثقفين المصريين(٢٠).

ويرى بعض العلماء أن "الفولكلور" اصطلاح علمي مشتق عن الإنجليزية أدخله العلامة "ولـيم تـومز **W.GToms** " لأول مرة على المصطلحات العلمية عام ١٨٤٦، والترجمة الحرفية للكلمة تعنيَ حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية(٢١). ويتألف المصطلح من مقطعين (فولـكFolk) بمعنى الناس أو عامة الشعب و (لـور **Lor**) بمعنى المعرفة أو الحكمة، ولقد اقترح (تومز) استعمال هذا المصطلح كاسم لحقل يشمل دراسة العادات والتقاليد والممارسات والخرافات والملاحم والأمثال(٢٢).

فالفلكلور في العالم كله، وعند كل شعب من الشعوب على حده. هو وجودها الثقافي التلقائي الموروث، إذ هو حصيلة نشاطها العلمي والفكري القائم على استغلال ظروف البيئة والمناخ، والمتأثر مع البيئة والمناخ بعوامل النحت الاجتماعي والتغير السياسي، والنمو الاقتصادي معا. فنحن أمام البيئة كما يراها الإنسان، كما طوعها، ثم كما تأثر بها وتفاعل معها، لتكون حصيلة هذا التأثير والتفاعل في عطاء مادي يمثل حركة نموه الفكري والسلوكي والحضاري جميعا.(٢٣)

(٧) العادات الاجتماعية والقيم:

وإن القيم ما هي إلا المعايير والمبادئ الأساسية التي يتم بواسطتها اختيار العادات الفردية والاجتماعية وهى المعايير المستخدمة في الحكم على العادات وتحدد ما هو مرغوب وهام وجدير في تفسير سلوكيات الأفراد في المجتمع. (٢٤)

إن القيم الاجتماعية تشتق وجودها من وجود المجتمع ومن نظمه وأوضاعه فالأخلاق والدين والعادات والعرف والتقاليد تعتبر قيماً اجتماعية(٢٥)وإن القيمة تنشأ نتيجة لإرادة بشرية تختلف تماماً ونوعها من الأساليب التي يلجأ إليها العقل حينما يسعى إلى فهم وإدراك الحقيقة. (٢٦)

كما أن القيم تساعد الفرد في التفكير فيما ينبغي أن يفعله والتفكير في الأساليب والوسائل التي يختارها في موقف معين وبذلك يمكن أن ينظر إلى القيم كالمثاليات العليا ولأفراد المجتمع كما أنها تلعب دوراً كبيراً في إدراك الأفراد للأمور التي تدور حولهم وتصورهم للعالم المحيط بهم والقيم كعملية اجتماعية هي نتاج جماعي يتشكل من خلال عمليات اجتماعية طويلة تلعب فيها ثقافة الجماعية دوراً أساسياً. (٢٧)

سابعا: العادات الاجتماعية لمراحل دورة الحياة:

إن دورة الحياة هي ذلك الإطار الذي ينتظم داخله عادات وممارسات ثقافية ذات دلالة تحليلية قيمة ولا يوجد شعب يخلوا تراثه من عادات وتقاليد متصلة بدورة الحياة.(٢٨)

إذا كانت دورة الحياة تقع في ثلاث محاور رئيسية وهى (الميلاد – الزواج – الوفاة) فإنه من الطبيعي أن يكون هناك مفردات للعادات تميز كل مرحلة من هذه المراحل. وترتبط هذه المراحل الثلاث ارتباطاً وثيقاً بالثقافة الفرعية لكل مجتمع من المجتمعات المحلية بما يميزه عن الآخر، وإن جميعها تتفق من حيث الهدف والنتيجة إلا أنها تتباين –

هذه المجتمعات – من حيث الأسلوب الذي يميز الشكل المظهري للعادة في كل موقف من مختلف المواقف المرتبطة بهذه المراحل الثلاث وهناك عادات كثيرة تتصل بشتى تفاصيل الحياة بين الزوج والزوجة ولم يترك الأدب الشعبي شيئاً إلا وضع له الكثير من الأقوال والمأثورات مثل (اللي خلقهم يرزقهم ورزقي على الله وربنا ما خلقش حد ونساه). (٢٩)

الزواج قد نشأ فطرياً ويعزز هذا الرأي أنه حتى العصور البدائية الأولى لابد أن الرجل والمرأة أو عدة نساء كانوا يعيشون معا لممارسة الغريزة الجنسية وتربية النسل الناتج عن ذلك كما كان على الرجل أن يحمى ويعول أسرته وكان هذا يحدث أولا طبيعياً ثم أصبح يحدث فيما يعد بحسب شروط معينة تحولت أخيراً إلى نظام اجتماعي **Social Institution**.(٣٠)

لما كانت مرحلة الميلاد بها العديد من العادات والطقوس المتبعة في كل من الحمل والوضع والاحتفالات بالوليد ورعايته وأيضاً ما يتبع في تسميته من عادات اجتماعية كثيرة تتصل بشتى تفاصيل هذه المرحلة وإن العادات الاجتماعية تتصل بكل شي يربط الحياة بين الزوج والزوجة وبداية هذه المرحلة هي الحمل وهذا السلوك الإنجابي وما يتبعه من الرغبة في الحمل بالنسبة للمرأة يعد من أهم الأنماط السلوكية في إشباع غريزة الأمومة إلا أنه لا يخلو من ارتباطه بالعديد من العادات الموروثة التي ترتبط ببعض المعتقدات المتعلقة بهذا الشأن وتتضمن مرحلة الحمل العديد من العناصر منها معرفة قدرة الزوجين على الإنجاب وهي تعنى اختبار الخصوبة وهناك العديد من الطقوس التي تتبع في ضمان إنجاب الأطفال في أنحاء العالم متنوعة تنوعاً كبيراً والفشل في إنجاب الذرية يعنى ضعف القبيلة التي كانت تعتمد في العصور القديمة على القوة العددية في دفاعها ضد اعتداءات جيرانها ومن هنا جاءت أهمية إنجاب الأطفال وخاصة الذكور. (٣١)

إن عادات الموت لا تختلف من حيث الشكل عن عادات الزواج حيث تتقارب كثيراً والفرق الوحيد بينهما هو حالة الحزن التي يكونون عليها كما أن أهل الميت لا يتجهون بالدعوة لأحد كما في الزواج وإنما يقومون بعملية الإشعار عن حالة الوفاة وبعدها يتوافد الناس والأقارب إلى منزل المتوفى وهناك رواية وفاة سيدنا (آدم) أول الأنبياء الذي فيها حدث الاحتفال السماوي بصعود روح آدم إلى السماء وعلى الرغم من تلك المراسيم التي أجريت في سبيل صعود روحه الطاهرة إلى بارئها وعلى الرغم من رؤية آدم لهذا كله فقد كان كارها الموت لأنه ينتزع الإنسان من الحياة كما تسلخ الشاة وهى على قيد الحياة وتتجلى فلسفة الإنسان الشعبي في الموت في تلك المفارقة التي عبر عنها على لسان آدم بقوله (فالعجب يا إلهي ممن ينتفع بعيشه ووراءه الموت فالإنسان ما يلبث أن يغرق في الحياة وتكل قواه عن السعي عندما يشعر بقدوم الهرم عليه الذي يعد نذيراً بالموت)وقد قال آدم لابنه شيث " إنك لا تزال مظفراً على أعدائك ما دامت هذه الشعرة سوداء فإذا أبيض ، فاعلم أنك مائت " وأراد القصاص الشعبي أن يدعم شعائر الدفن وطقوسه بأن أرجعها إلى أيام آدم عليه السلام فقد طلب من ابنه أن يرقب شعائر الدفن التي تجرى له حتى يورثها لقومه من بعده كما أفصح الراوي عن عقيدة إسلامية قديمة ما يزال المسلمون يعتقدون فيها حتى اليوم وهى أن هناك ساعة مختارة يوم الجمعة هي التي تقبل فيها أرواح خيار الناس وربما كانت هذه الساعة إذا كان من الممكن أن نرتضى هذه المقارنة هي ساعة النحس التي تكتنف ساعات يوم الجمعة ولا يعلم الناس عن تحديدها الزمني شيئاً.[٣٢]

الخلاصة:

أن العادات ظاهرة اجتماعية تتعلق بأفعال الناس، ويشتق وجودها من الفطرة الاجتماعية،وهي تلقائية لا تصدر عن سلطة معينة تصنعها وتنفذها وتسهر عليها، وإنما دعاماتها قبول الناس لها. فنحن، مثلاً، عندما نلقي السلام والتحية أو نصافح بالأيدي عند لقائنا ببعضنا بعضاً، أو عندما نتبادل خطابات وبرقيات التهاني والمواساة، وعندما نحتفل بالأعياد والمواسم والموالد وما إلى ذلك، فكل هذه الأفعال تلقائية لا توجد سلطة رسمية تفرضها علينا، وإنما تدفعنا إلى ممارستها سلطة المجتمع القائمة على قبول الناس لها. وتعتبر العادات مفيدة للحياة الاجتماعية وتؤدى إلى تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفراده مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والمائدة وصلات ذي القربى وبعضها سلبي يشيع الفرقة بين أبناء المجتمع مثل العادات الخرافية وهناك من الأسباب والعوامل ما يساعد على تقوية سلطة العادات الجماعية منها صغر حجم المجتمعات وانعزالها وصرامة النظام العائلي فيها.

الحواشي السفلية:

(١) محمد فوزي عبد المقصود: التراث الشعبي وتربية الطفل المصري – دراسة تحليلية. (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص١٦٤.

(٢) مجمع اللغة العربية المعجم الوجيز، (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٩٩٥)، ص٤٣٩.

(٣) عبد الهادي الجوهري: أصول علم الاجتماع. (القاهرة: دار المكتبة الجامعية، ٢٠٠١)، ص٢٥٤.

(٤) شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان – المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. (ترجمة:) محمد الجوهري وآخرين، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨)، ص٥٠٠.

(٥) على محمود إسلام الفأر: معجم علم الاجتماع. ط ٢، (القاهرة:دار المعارف، دن)، ص١٤٠.

(٦) محمد فوزي عبد المقصود زاهر: مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٧) جلال مدبولى: الاجتماع الثقافي. (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩)، ص٧٩.

(٨) محمد الجوهري: التراث الشعبي – وجهة نظر في تحديد موضوعات الدراسة. (القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٣) ص ٥١-٥٢.

(٩) نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق. (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٤) ص ص ٢٤٣ -٢٤٤.

(١٠) فاطمة حسين المصري: الشخصية المصرية _ من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصري. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص ١٧٧.

(١١) محمد شفيق: الإنسان والمجتمع مع تطبيقات في علم النفس الاجتماعي (القاهرة المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٥) ص٦٨.

(١٢) محمود السيد أبو نبيل: علم النفس الاجتماعي – دراسات عربية وعالمية. ط٦، (القاهرة: المؤسسة الإبراهيمية، ٢٠٠٢)، ص٣٧٩.

(١٣) سناء محمد على: دراسة بعض القيم الاجتماعية الثقافية لسكان منطقة حضرية بمدينة أسيوط في ضوء نظرية ثقافة الفقر لاوسكار لويس. رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة أسيوط. كلية الآداب، قسم الاجتماع، ٢٠٠٨، ص٢٢.

(١٤) نبيل صبحي حنا. المجتمعات الصحراوية في الوطن العربي. ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٠٧.

(١٥) يوري سوكولوف. الفولكلور قضاياه وتاريخه. ترجمة: حلمي شعراوي وعبد الحميد حواس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٧.

(١٦) عدنان أحمد مسلم: محاضرات في الأنثربولوجيا علم الإنسان، الطبعة الأولى، (الرياض: مكتبة العبيكات،٢٠٠١)، ص ص٣٣٠-٣٣١.

(١٧) حسين عبد الحميد أحمد رشوان: العلاقات الإنسانية في مجالات علم النفس والاجتماع. (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٧)، ص ص١٦٨-١٧٠.

(١٨)أيكة هولتكرانس: قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور. (ترجمة:) محمد الجوهري وحسن الشامي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣٩)، ص٩٥.

(١٩) فوزي عبد الرحمن وعلى المكاوي: دراسات في الانثروبولوجيا الثقافية. (١٩٩١)، ص١٥١-١٥٢.

(20) Diaa Kendall "Sociology in our Times: The Essentials "th 8ed:Aastralia.Wadsworth cengage Leamhng. 2012 pp 54-55.

(٢١) محمود العودى: التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية -دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى. تصدير: محمد الجوهري. الطبعة الثانية. (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨١) ص ١٣٠.

(٢٢) محمود عبد الحميد حسين، سيد حسانين بخيت: محاضرات في المجتمع المعاصر. (أسيوط: مكتب النسر الذهبي، ٢٠٠٢) ص٥٤.

(٢٣) وينفريد بلا كمان: ترجمة أحمد محمود: الناس في صعيد مصر العادات والتقاليد. الطبعة الاولى. (القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥) ص ٧٧.

(٢٤) فاطمة حسين المصري: الشخصية المصرية _ من خلال دراسة بعض مظاهر الفولكلور المصري. (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤) ص ١٧٧.

(٢٥) فاروق خورشيد: أدب السيرة الشعبية. ط١، (الجيزة الشركة المصرية العالمية للنشر، ١٩٩٤) ص ٤.

(٢٦) عبد اللطيف البرغوتي: الفولكلور والتراث. في: عالم الفكر. وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٦، ص ص ٩٣-٩٤.

(٢٧)عبد الحميد محمود سعد: تقديم: على فؤاد احمد. المدخل المورفولوجي لدراسة المجتمع الريفي (دن، دت، ١٩٨٠) ص٢١٨.

(٢٨) عبد الهادي الجوهري: أسس علم الاجتماع. الطبعة الأولى. الإسكندرية المكتبة الجامعية، ٢٠٠٢ ص ٢٦٩.